

## سنة حافلة

نحن الآن فى أيام الوداع من السنة الشمسية ، فلا تمضى أيام معدودات حتى نلحق « سنة ألف وتسعمائة وخمس وأربعين » بذمة التاريخ .

وأصدق ما يقال فى هذه السنة المولية - وتتفق عليه الآراء - أنها قد حملت من الحوادث والأطوار فوق ما تطيقه سنة واحدة ، بل فوق ما تطيقه سنوات .

فقد شهدت مصارع ثلاث من الدول الكبار .  
وشهدت محاولات الأمم - على متن الكرة الأرضية بأسرها - فى سبيل تقرير السلام .

وشهدت تجربة لم يسبق لها مثيل من تجارب الإنسانية لتنظيم الهيئة العالمية التى تقيم علاقات الدول على أساس الإنصاف ورعاية الأخلاق وتفضيل التفاهم بالمودة على التغالب بالسلاح .  
وشهدت مساعى الأمم الجسام فى معاملاتها الجديدة سواء فى التجارة أو السياسة أو الثقافة أو تبادل المعونة والضمان .  
وشهدت فى كثير من الأمم انقلاباً سلمياً أو دموياً فى شكل الحكومة ومقاصد الرعية والرعاة .

وشهدت أخطر اكتشاف عرفه البشر منذ مئات السنين وهو اكتشاف القنبلة الذرية .

وهذه كلها رءوس مسائل عامة ، تطوى تحتها من المسائل الخاصة أو المسائل المحلية ما يضيق عنه الحصر والإحصاء ، ولو بإشارة الإجمال .

فأحرى بنا أن نستفيد من سجل هذه السنة فائدته الأولى ، بل فائدته الكبرى . وهى أنها لا تحتل المزيد من الحوادث والأطوار ، وأن الذين انتظروا منها مزيداً من هذه وتلك يظلمونها ويكلفونها فوق طاقة الأيام ، وأولهم أولئك الذين انتظروا منها أن تحقق أحلام الإنسانية منذ آلاف السنين ، فلا تنقضى إلا وقد ذهب كل خوف وسكن كل اضطراب وارتفع كل ظلم وبطل كل خلاف ، وتوطد صرح السلام فى كل أمة وفى كل مكان . أمل كثير على سنة قد اتسعت لما اتسعت له السنة المولية من الحوادث والأطوار .

بل كثير على سنة قد فرغت لهذا الأمل وحده دون سائر الآمال والأعمال .

بل كثير على عشر سنين ، بل كثير على مائة سنة تتواصل فى الجد والرجاء ... ولا أرانى من المتشائمين ولا من المتهملين . فإذا انقضت مائة سنة على هذا اليوم وصحت الأحلام كلها فى السلام الدائم فقد حق للإنسانية أن تغبط نفسها غبطة السعداء .

لقد مضت ألوف السنين في ارتقاب السلام ، ولم تمض عبثاً ، ولا كان مضيها مسوِّغاً للتخاذل والقنوط .

فحسبنا أننا قد غيرنا أسباب الحروب في هذا الزمن الطويل . فكانت الحرب مطلوبة مشكورة لغير سبب ، ثم كانت مطلوبة كما تطلب الضرورات لأسباب من أوهى الأسباب . فسفكت دماء الألوف في بعض الحروب لأن أمة من الأمم دخلت في تركة أميرة تزوجها أمير في أمة أخرى ، وسفكت الدماء لأن الشعوب كانت كالسلع التي يتنازع عليها التجار في الأسواق : يطالب بها مدعى الحق فيها كما يطالب بقطيع من الماشية يساق هنا أو يساق هناك .

ثم ضنوا بالدماء أن تسفك لأمثال هذه الأسباب ، فسمعنا بالحرب التي تعلن لمصلحة عنصر ممتاز على سائر العناصر البشرية ، وسمعنا بالحرب التي تعلن في سبيل مبدأ من مبادئ الأخلاق الفاضلة يسعد به الأقوياء والضعفاء ، وسمعنا بالحرب التي يراد بها ختام الحروب .

إن المتعللين الذين لا يفوتهم البحث عن دواعي القنوط يراجعون هذه الأسباب فيقولون : كلا أيها المتفائلون . إن الحروب التي أعلنت للنزاع على مواريث الأمراء ، أو لاعتبار الأمم تركة من التركات أو قطعاً من قطعان الماشية ، لم تعلن في الحقيقة لهذه الأسباب ، ولم تكن قط هي الباعث الصحيح إلى

القتال . ولكنها علل ظاهرة ومعاذير كاذبة ، تخفى وراءها أسباباً أخرى لا تختلف كثيراً عن الأسباب التي تضرم الحروب في هذه العصور .

وربما صح ما يقول أولئك المتعللون .  
ربما صح أن أسباب التركات والمواريث لم تكن هي بواعث الحروب وأنها كانت دائماً من قبيل التعللات والمعاذير .  
ولكن لماذا بطلت تلك التعللات والمعاذير ؟

لماذا لا يتعللون بها ولا يقبلها الناس منهم الآن ؟ لسبب واحد يدل على تقدم في طريق السلام أو تقدم في كراهة الحروب ، وأن الأسباب التي كانت تكفى للحرب من قبل قد أصبحت اليوم غير كافية في نظر الساسة والشعوب ، ولا بد من سبب أكبر وأعظم من تلك الأسباب لإقناع الناس بالحروب واستثارتهم لها في العصر الحديث .

ومن استهان بهذا التقدم فخير له وللإنسانية أن يريح نفسه من عبء الرجاء أو القنوط في هذه الأمور .

\*\*\*

ستمضى السنة المولية إذن دون أن تنجز للناس كل ما انتظروه منها ، والملام عليهم لا عليها إذا اختلف الرجاء والتقدير .

وستمضى السنة المقبلة دون أن تنجز للناس كل ما يريدون -  
وعليهم الملام كذلك في تعجل المراد ، وإن استحقوا الحمد على  
أنهم أرادوه .

غاية ما نرجوه بحق أن تنقضى السنة المقبلة ولا تدهم العالم  
بشر ما يخاف ، وهو اضطرام الحرب من جديد .  
وهنا نظن ، بل نعتقد - أن قليلا من الثقة بدوام السلام أنفع  
من الكثير .

نعتقد أن اليقين في دوام السلام خطر قد يجر إلى تجدد القتال  
الذى نغالى في استبعاده وفي اتقائه .  
هذا هو أكبر الأخطار في هذه الأيام .

وكل شيء بمقدار .

حتى الرجاء - وهو من أعظم الخيرات - ينبغي أن نرجوه  
بمقدار وإلا انقلب إلى بعض الشرور .

فعسى أن يخاف الناس قليلاً ليظفروا بالرجاء الكثير .  
وخليق بالناس أن يخافوا الحرب في عصر القنبلة الذرية لأنه  
خوف يتحقق في ساعات معدودات ولا يحتاج إلى انتظار الأجيال  
ولا السنوات . ثم تكون الساعة الواحدة أفتك وأهول من مائة  
عام .

وفي الحق أنه أعسر امتحان تعرضت له طبيعة الإنسان ، لأنه  
هو الامتحان الأخير .

إن أخفق فيه فلن تعاد له الفرصة كرة أخرى .  
وإن نجح فيه فقد أصبحت هذه القوة الجهنمية بشيراً له  
بالنعيم المقيم .